

في جنائن الغرب

نشرنا حتى الآن تحت هذا العنوان بعض مختارات من كتابات مشاهير ادباء الغرب، وقد احببنا اليوم أن نأخذ صفحة عن اللغة التركية وهي مرصعة بالمعاني النفيسة:

﴿ الابتسامة ﴾

الابتسامة هي علامة الابتهاج ، وبشيرة الارواح الحساسة
الابتسامة عدوة لجيوش الهموم تهاجمها فتعزق شملها شذر مذر
الابتسامة مرآة الباطن ، الابتسامة لسان القلب
كل شيء في الكون ابتسامة
الابتسامة ، واسطة فعالة تجعل العدو صديقاً
الابتسامة ، دواء القلوب المنكسرة
الابتسامة ، سبب لتعارف القلوب
الابتسامة ، أمضى سلاح للنساء
رب ابتسامة ينكسر بها القلب ، وابتسامة ينجر بها ، وابتسامة تلتئم
بها القلوب المنكسرة
الابتسامة موهبة إلهية يتفجر منها ينبوع السعادة لكافة البشر
في لمعان البروق ، ورعد الصواعق وخرير المياه ، وتغريد الطيور ،
ابتسامة . النور ، والضوء ، واللون ، والجمال ، والروض ، والربيع ، والورد
وروض الورد — كلها ابتسامة
جميع الكائنات تبسم ، السحر بنسيمه ، والصباح بفجره ، والشمس

بطلوعها والمساء بشفقته ، والليل بضوء قره ، ولعمان نجومه ، والشبوية
بنضارتها ، والشيبة بيباضها ، والسماء بمطارها ، والارض بمراعيها ،
والكلام بمعناه ، والنظر بغمزه ، والغناء بوزنه ، والموسيقى بتوافق ألحانها
تبتسم المسرة لالتخدا عنها ، والمشقة لانتقامها منا .
يتسم المرء باختلاف الأحوال الطارئة عليه في زمن التحقير ، ووقت
التبشير وحيثما يقع بمصيبة ، وعند ما يسر ، وفي الحزن واليأس والأمل
والمحنة والظفر

ضحك الأطفال كنفحات البلايل ، وضحك النساء كرائحة الرياض
العطرة ، وضحك الرجال كاصوات الصواعق اذ في ضحك الاطفال عصمة ،
وفي ضحك النساء شفقة ، وفي ضحك الرجال عزم وثبات
الابتسامة ، هي التي تستقبل الآتين الى عالم الوجود وهي التي تودع
الراجلين الى عالم البقاء

فالعالم هو الذي يجعل حياته ابتساماً وضحكاً ويتعد عن اراقة دمه
في زماته الضحوك المبتسم

فيسكن في البيت الضحوك ، ويشارك في حياته من تضحك
وتبتسم ، ويتخذ أجباء يضحكون ، ويمضي سحابة حياته في الضحك والابتسام
العرفان

الطالب البائس

ذكرنا كلمة في العدد الماضي عن المرحوم محمد امام العبد الشاعر البائس الذي
كان يقول ان سواد جلده حذاء على حظه . وقد احببنا ان نقل الى قرائنا شيئاً

من ثره ، وهو كلامٌ له في البؤس والبائسين ، قل :

خرجت ذات ليلة من داري وانا بين الهم والنعم ، وفي صدري
من الاشجان ما في قلبي من الاحزان ، فضربتُ في الطريق من غير
صديق . اللهم الا نفس يتردد ، وحزن يتجدد ، فما زلت كذلك حتى
اكتنفتني التعب ، وغلب عليَّ النصب . وكنت على مدى النظر من
« الجزيرة » فرأيت ان اكون فوق الجهد ، لأدني مسافة البعد ، فصددت
عزيمتي بعد جهاد ، وبلغت اربتي او كدت اكاد ، وما هي الا خطرة
مرت مرَّ النسيم ، تحت سجن الليل البهيم ، حتى بصرت بظل يسرع في
مشيته ، وكأني به يقاضي الاقدار في محنته ، ولما أمسى مني حيث أمسيت
منه ، تسرَّب الى نفسي ان اقف منه على نفسه لان البائس يميل الى
البائس ، واليائس يحن الى اليائس . والوجوه صحيفة لما تخفيه السرائر او
تضن به الضمائر . فالتفت عليه تحيتي فاردفها باحسن منها ، ثم جعلت له
الى الحديث سبيلاً فتمشى الحزن في صدره حتى كدت أحس به في
صدري ، واسبل من جفونه دموعاً في كل دمة لؤلؤة بيضاء ترى على
خده ياقوتة حمراء كأنها بنت الشفق ، في ذلك الغسق

فقلت له : ما شأنك يا بني ؟ وما أمر الجائحة التي نزلت بك ؟

فقال لي بصوت لا يسمعه الا من اراد ان يسمع : انني ولدت في
يومٍ أخذ صباحه بمسائه ، وذهب ظلامه بضياؤه . فتوفي والذي قبل
عقد التمام ، فاسلمتني الاقدار الى أم حنون لا تملك من المال غير ما ينني
عن السؤال ، وكانت تلك الام الكيسة تعمل صباح مساء في بيت

وحدثها او في دار هجرتها ، وكنت أنا في ذلك العهد من طلاب العلم في المدرسة

فما قنعت الاقدار بفعلتها الاولى ، بل نزلت علينا في ليلة اختلفت اجرامها وتنكرت نجومها ، وكثرت همومها . ولم تزل بنا حتى اصابنا والدتي بعلّة طوتها في لحدها ، واستقممتني من بعدها . فلم أجد من يقوم بتربيّتي من بني الانسان في هذا الزمان بعد ما أبعدتني المدرسة عن مناهل العلم وتركنتي أتلمس نصيراً من الوهم

وأنا الآن لا املك غير نفس أبي اليأس ان يتعد عنها قيد شبر ، وفؤاد اصبح غرضاً لسهام الدهر . فامتعضت قليلاً وقلت في نفسي أما آن للاغنياء ان تساعد زمرة الفقراء ؟ رب ان ناظر المعارف أولى الناس باجابة هذا النداء . فان لم يكن كذلك فقد ضاقت المسالك ، والامر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

محمد امام العصر

— رثاء إمام —

وقد أرسل إلينا الادباء مراثيهم يندبون فيها زميلهم وصديقهم العبد ، فلم نتمكن من نشرها سيما وقد عزم حضرة عز الدين افندي صالح على جمع مختارات إمام مع اقوال الادباء فيه . فلترسل اليه في الاسكندرية (بوسنة ثابتة) . غير اننا ننشر الآيات الآتية التي جاءتنا من عزقو ابراهيم بك العرب ، وفيها خير وصف لحالة الادباء :

يا إمامَ القريض بالشعر تُرثى وقليلٌ على الامام الرثاء
ما وفي بالوفاء فيك خليلاً أين مني ومن خليل وفاء

ليتنى عند ما أجبتَ نداء الله أُخبرتُ حين جاء النداء
كنتُ أوفى عهداً وأرعى إخاء ان مثلي لديه يُرعى الإخاء
شغلتنى عنك الشؤونُ بعد علمَ الله ليس فيه جفاء
تعبتُ كلها الحياةَ لعمرى وعناء لا ينتهي وشقاء
عشتَ في الدهر تشكي ألم البؤ س وحظُّ الأديب ذاك البلاء
هكذا هكذا الأفاضل تشقى في حياةٍ وتسعد الجهلاء
ان حظَّ الأديب أضيقُ حظِّ حسبَ الفضل قسطه والذكاء
فاذا عاش فالهجاء نصيبُ وإذا مات فالرثاء الشناء
كلُّ من مات ظامئاً لم يفدهُ انه بعده يفيض الماء
أو يجدي المدفونَ عمرانُ قبرٍ فيه جسمٌ عليه يجري الفناء
ليس للمرء في الحياة سوى يو م سرورٍ يطيب فيه الهناء
إن هذي الحياة من عاش فيها الف عام أو ساعة فسواء
خياةُ الأديب دائمٌ عضال ومات الأديب نعم الدواء

العرب

خبر أنا قاتل عصفوري

في فجر يوم من أيام الربيع ، بكرت الى رواق من منزلي في وسط
سهل بقيق ، يشرف على حديقة غناء ، ومروج ملوثة بين خضراء وحمراء
وصفراء

جلست الى تلك المناظر البديعة ، الجامعة بين اعتدال الطقس

وسكون الطبيعة ، أروح النفس في فضاء أرجائها ، واملأ العين من بديع
بهاؤها ، ولم تكن الغزاة بعد أرسلت أشعتها أو بان سباطها ، وقد أخذت
الطيور تغادر أعشاشها وأوكارها ، وترسل في الفضاء الهادي ، شجي
أصواتها ، ما بين هديل وسقسقة ، وسجع وقطقط ، فكان من مجموع
تلك الأصوات الرخيمة العذبة ، ذات الألحان الشجية ، جوقة موسيقية ،
ألفتها القدرة الإلهية ، لعبادته سبحانه وتوحيده ، ولقنتها الكائنات
شكرها له على سوابغ نعمه والاستزادة من رحمته وجوده

وانا في ذلك الاستطراد من حال إلى حال ، ما بين مشاهدة الطبيعة
وركوب الخيال ، حطّ بي الطوف عند كنارين ، متاثلين في حسن
الحلية وجمال المنظر متحاكيين ، يتداعبان فوق غصن وهو يميل تحتها
أو يختلج ويضطرب ، كما شاء أو شاء لها الحب واللعب ، ثم يعود فيتثنى
أو يستقيم ، كأنه راحة بسطتها الطبيعة اليهما للتسليم ، أو ذراع تهدهدهما
به تهدهد الأم لابنها الفطيم على مسمع نوس هبات النسيم

أقرّ هذا المشهد ناظري ، وبدأ لي التأمل فاخذت أتأملهما والسرور
أخذ يعطيني ، ذلك والمصفوران في مداعبة وطفرة ، وكرّ ومفرّ ، هذا
يحثم ، وذاك ينقر أو يدوم ، هذا يرفرف حول ذاك أو يزفّ ، وذاك
يدفّ هرباً من هذا أو يسفّ ، ثم يهفّان إلى الأرض يرحان ويتلبدان ،
ويعودان إلى الغصن يجتمعان

شاهدت ذلك مبهور النظر طروب السمع ، فهبت بي عاطفة
الاستئثار والميل إلى الجشع ، فمددت لذنيك المتحايين السعيدين شركاً

اصطادهما به ، حتى كان صباح الغد وافيت الشرك فرأيت أحدهما فيه
مضى الربيع وتلاه الصيف وأعقبه الشتاء ، والعصفور ملكي أفل
به ما أشاء ، وقد حبسته في قفص ذي صنع بديع محكم البنيان ، وشكل
جميل بهي الألوان ، وكنت أتعده بكل صنف تمكنت من جلبه من
صنوف مطعم البغشان ، ولكن العصفور كان قليل الاكل مقهم الشهوة ،
نادر الاستحساء نزر النغمة ، وكان كلما ازددت به اعتناء واهتماماً ، ازداد
مني نفوراً واعتصاماً ، أوجئت أستميله تملل وتلوى ، كأنه يشكو
جراحاً بالحشى او انه كره مقامه واجتوى

انقضى فصل الشتاء وانا أعالج نقرته ووحشته ، واراود سآمته
وكأبته ، وأخذت لذلك بجميع أسباب رفاة الطيور وراحتها ، واحتلت
بصنوف الحيل التي تؤدي الى استمالتها ، فلم يكن ما يستمال به ويرضيه ،
او يخفف من زهده في حياته ويسليه على يأسه من تحقيق أمانيه

جاء الربيع واخذت الكائنات المرئية تحل بجلاها البهية ، والطبيعة
تعرض مصنوعات السنية ، فمن زهر تبسم عن ثغره ، وشجر جاد بثمره ،
ونسيم سرى بنسماته ، وجدول جرى هادئ في منرجاته ، وبرزت
الطيور من مكانها ، وعادت تصدح على افنانها ، ولكن طيري لم
يشارك مع بني جنسه في افراحهم ومسراتهم ، كأنه لم يكن منهم وهو
بعيد عنهم وعن مختلفاتهم ، حتى كان صباح يوم وانا في شغل شاغل ،
طرق اذني صدح شجي متواشل ، فاسرعت مستبشراً فرحاً الى وجهة
مصدره ، استعلم عن مرسله واتحقق صدق خبره ، فالفيت كناري

مضطرباً هائجاً في قفصه يروح ويحي لا يستقر ، وقد عاينته في مجيئه
ورواحه ملازماً جانباً واحداً من قفصه ، وناظراً صوباً واحداً لا يحيد
عنه حذقة بصره ، فأنجمت وجهته انظر فرأيت على زجاج النافذة المطبق ،
كنارياً آخر قد انشب مخالبه في الافريز منه وتعلق ، وناءى بجوؤه
فارشاً جناحيه على الزجاج ، وقد فتح منقاره يلهث تعباً مع اضطراب في
الجسم واختلاج ، وهو يحدج اليّ حيناً ويحدق الى المصفور السجين
حيناً ، ويتبادل معه صدحات متقاطعة متداركة متواملة مملوءة حناناً
وحيناً . كأنها أحاح مكروب مكدود ، او همهمة مصدور مفؤود ، طال
عليها العهد ، ولم يقوَ على حبسها عن النفس بها منه جهد ، فارسلها رنيناً ثم
ادرکها نادماً واراد اخفاءها او ملاشاتها بين جوانحه فتراجعت مترددة
في فيه مسمعة لها في قفص الضلوع منه هنيئاً

نظرت وسمعت فخرت في امري ، وبقيت لا اعي فعلاً آتية ولا
ادري ، وفي هذا الحين وقف المصفور المحبوس بغتة وارسل صوتاً ليس
بالصدح المألوف ، ولا بالتغريد المعروف ، واذا هو ككريد صدرٍ مثقل
بالغموم ، وتأوّه فؤاد مكلوم ، زفر به صاحبه زفيراً ، مدّ به النفس حيناً
فكان شجياً مثيراً ، ثم رمى به فاذا هو بقية روح كان الامل قد حبسها عند
حد التراقي ، ودفع بها اليأس فغادرت صاحبها قتيل الاستبداد والاسترقاق
ملكته جسمه وحياته ولم املك فؤاده وعواطفه وهو الحرّ الكريم
فكنت قائله

أيها المستبدون اتقوا الله في خلائكم وعباده فيليب الخوف